الحرمان من الخلود بين أساطير الشرق الأدنى القديم والقرآن الكريم (*)

أ.د. فهد بن مطلق العتيبي
كلية العلوم الإنسانية
جامعة الملك سعود

الملخص:

طوَّرت الحضارات الإنسانية عبر التاريخ منظومات فكرية وسردية معقدة لتفسير الظواهر الحياتية والميتافيزيقية المختلفة. وتُعَدُّ ظاهرة الموت /الخلود من أبرز الموضوعات التي عالجتها أساطير الشرق الأدنى القديم، حيث عكست صراع الإنسان مع الموت وتوقه الدائم إلى الحياة الأبدية. تظهر هذه الإشكالية بوضوح في العديد من الأساطير مثل: ملحمة جلجامش، وأسطورة آدابا، وقصة خروج آدم من الجنة الواردة في التوراة، إذ تقدم كل من هذه الروايات تفسيرًا خاصًا لفقدان الإنسان فرصته في نيل الخلود. ورغم تناول العديد من الدراسات السابقة لهذه الأساطير بالدراسة، إلا أن أي منها لم يتطرق إلى السبب الذي ساقته هذه النصوص لفشل الإنسان في تحقيق مسعاه نحو الخلود. تسعى هذه الدراسة إلى سد هذه الفجوة من خلال تحليل مقارن لهذه الأساطير الثلاث، منطلقة من سؤال مركزي: كيف خسر الإنسان فرصة الخلود في كل من هذه الروايات؟ وتُختَتم الدراسة بمقارنة ماورد في هذه الأساطير الثلاث مع قصة خروج آدم من الجنة الواردة في القرآن الكريم، بهدف إبراز التمايز العقدي والسردي للنص القرآني مقارنةً بتلك الأساطير. ومن خلال هذا التباين، تؤكد الدراسة على خصوصية الخطاب القرآني وقدسيته، كما تدعو إلى تدشين مرحلة جديدة في دراسات الشرق الأدنى القديم تكون فيها المرجعية الأولى للقرآن الكريم لفهم الإرث الفكري والروحي للمنطقة. فعلى الرغم من أن القرآن الكريم كتاب عظة وعبرة إلا أن ما ورد فيه حول الموضوعات العقدية والفكرية الخاصة بالحضارات السابقة عليه زمنياً هو القول الحق.

الكلمات المفتاحية : الأساطير، الموت، الخلود، الشرق الأدنى القديم، جلجامش، آدابا، التوراة، القرآن الكريم.

(*)مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٤٣)، يوليه ٢٠٢٥.

Deprivation of Immortality between the Myths of the Ancient Near East and the Holy Quran

Abstract

Throughout human history, various civilizations have developed complex systems of beliefs and narratives to interpret both worldly and metaphysical phenomena. Within the mythologies of the ancient Near East, the theme of immortality *vis-à-vis*. death emerges as a central concern, reflecting humanity's enduring struggle against death and its aspiration for eternal life. Myths such as the Epic of Gilgamesh, the Adapa myth, and the biblical account of Adam's expulsion from paradise offer different reasons for humanity's ultimate failure to attain immortality. In spite of the fact that previous studies have explored different aspects of these myths, they have largely overlooked the specific reasons these narratives offer for the loss of eternal life. This study aims to fill that gap by conducting a comparative analysis of the aforementioned myths, focusing on the central question: How did humanity lose its chance at immortality according to each narrative? The study concludes by examining the Qur'anic account of Adam's fall from paradise, highlighting its theological and narrative distinctions from earlier mythologies. Through this comparison, the research underscores both the uniqueness and sanctity of the Qur'anic discourse and advocates for a renewed scholarly approach to the study of the ancient Near East. Although the Qur'an is a book of exhortation and moral lessons, what it contains regarding doctrinal and intellectual matters related to civilizations that preceded it in time is the ultimate truth.

Keywords

Myths, death, immortality, Ancient Near East, Gilgamesh, Adapa, the Torah, the Holy Qur'an.

المقدمة

شكلت الأساطير جزءاً محورياً في جميع الحضارات العالمية. حيث طور البشر منظومة من المعتقدات والتصورات والمفاهيم حول الكثير من الظواهر سواء في حياتهم الدنيوية أو الأخروية. فقد كانت الأساطير تفسر لهم، وتطمئنهم وترشدهم، وتمدهم كذلك بشعور الاتحاد والتماسك والحماية. يرى

جوزيف كامبل أن الأساطير تمثل الطبقة التحتية الصلبة لكل حضارة والأساس العميق للوعي لدى كل فرد. في مؤلفه (بطل بألف وجه) يناقش كامبل ما أسماها "رحلة البطل"، حيث التشابه الواضح في الموضوع والشخصيات والغرض والتطوير السردي للأساطير من الثقافات المختلفة وفي الأزمنة المختلفة حول العالم. وأمام هذا التشابه يقول كامبل: "ما سر الرؤيا الأبدية؟ من أين تفتقت من أعماق المخيلة؟ لماذا الأساطير في كل مكان واحدة، لكن بأسماء وأزياء مختلفة؟ وماذا تُعلمنا؟".[١]

وكلما ازدادت حدة التأثير والعلاقة بين الإنسان وبين الطبيعة، وظهرت التساؤلات المتعلقة بالوجود البشري ظهرت الأسطورة. حيث يرى الخطيب أن التفكير الأسطوري رد فعل ذهني تلقائي على كافة التساؤلات التي أثارها الوجود البشري.[٢] لقد واجه الإنسان ما يدور في ذهنه من أسئلة، وما يراه من حوادث القدر المحتوم بأساطيره. لذلك يرى كامبل بأن الأساطير تُعلم المعنى، وتُفسر للإنسان سر حياته وتزيده قوة وتمنحه إحساساً بالاستقرار، وترتقي به من وجوده الدنيوي إلى آخر مشبع بالمعنى الأبدي والخالد.[٣] وتتميز الأسطورة أنها بالإضافة إلى قدرتها على تفسير الظواهر والعادات، أو أسماء الأماكن، تستطيع أيضاً الارتقاء ببعض الأحداث الماضية ورفعها إلى مصاف الملاحم والظواهر فوق طبيعية.

ومن بين مواضيع الأساطير المختلفة التي خلفتها لنا حضارات الشرق الأدنى القديم تبرز أساطير الخلود (الخلود الإنساني). ويمكن أن نُعرف هذا الفرع من الأساطير بأنه مجموعة من الأساطير اتخذت من محاولة الإنسان مقاومة الموت والتغلب عليه موضوعاً لها. فهذه الأساطير في طبيعتها تفسيرية لظاهرة فناء الإنسان. ويأتي على رأس هذه الأساطير ملحمة جلجامش. ولقد كانت هذه الأساطير موضوع للعديد من الدراسات السابقة،[٤] إلا أي من هذه الدراسات لم تأتي على السبب الذي ساقته هذه الأساطير لفشل الإنسان في تحقيق مسعاه والحصول على الخلود. لذلك تأتي هذه الدراسة للإجابة على هذا

السؤال من خلال مقارنة ثلاث أساطير وهي: ملحمة جلجامش، وأسطورة آدابا، وأسطورة (قصة) خروج آدم من الجنة في التوراة. هذه المقارنة تدور حول سؤال واحد فقط وهو: كيف خسر الإنسان محاولة الحصول على الخلود في هذه الأساطير الثلاث؟ ثم سيتم مقارنة كل ذلك بما ورد في القرآن الكريم عن خروج آدم من الجنة وفقده الحياة الأبدية فيها. والهدف من هذه المقارنة تبيان كيف يختلف الخطاب القرآني عما ورد في هذه الأساطير مما يؤكد قدسية نصه، وكذلك التأكيد على أهمية تدشين مرحلة جديدة من مراحل دراسات الشرق الأدنى القديم يكون القرآن الكريم فيها هو المرجعية لا سيما فيما يتعلق بالموضوعات العقدية والفكرية الخاصة بالحضارات السابقة عليه.

الفصل الأول

المبحث الأول: تعريف الأسطورة

ورد في معجم لسان العرب "أنَّ الأسطورة هي من مادة "سطر" والسَّطر أو السَّطَرُ –وهو المفرد من أساطير– معناه الصفُّ من الشجر أو من النَّخل وهو مصدر، ومعناه كذلك الكتابة والخط , يقول جرير:

مَنْ ساءَ بايَعْتُه مَالِي وخُلْعَتَه مَا يَكْمُلُ التَّيمُ فِي ديوانِهِمْ سَطَرا

والجمع من الأسطورة أساطير أو أسطار أو أسطر أو سطور، فيُقال هذه الأحاديث من أساطير الأولين. قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (المطففين :١٣)... وقال الزجاج في قوله تعالى: وقالوا أَساطير الأولين ؛ خَبَرُ لابتداء محذوف، المعنى وقالوا الذي جاء به أَساطير الأولين، معناه سَطره الأولون، وواحد الأساطير أسْطورة، كما قالوا أحدوثة وأحاديث".(٥) يقول بن كثير في تفسير هذه الآية: " أي إذا سمع كلام الله من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل".(٦) ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: ٥). هنا يقول كفار قريش بأن ما جاء به

محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلا كتب الأوائل استنسخها، فهي تملى عليه أي: تقرأ عليه بكرة وأصيلا أي: في أول النهار وآخره. وقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. حيث كان هناك بعض المشركين يحاولون يصدون عن النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته فإذا سألهم من يريد التعرف على الإسلام قالوا له لم يأتي محمد بجديد فقط جاء بما سطَّره الأولون من الأباطيل، أي أحاديث الأولين وباطلهم. ويتشابه هذا الأمر مع ما جاء في سورة الأنعام: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وكلمتي أسطورة وأساطير في القرآن الكريم مأخوذة من "السطر" لأنها تسطر وتكتب وتتناقل من جيل لآخر: "سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا (أي كتب).

وكما يتضح من هذه الآيات الكريمات فإن الإساطير هي قصص وحكايات متوارثة من الأقوام السابقة تشتمل على العديد من جوانب تصوراتهم الدينية والدنيوية والأخروية، وقد تكون هذه الأساطير مدونة يتم تناقلها كتابياً (ما كتبه الأوَّلون)، وقد يتم نقلها مشافهة.

تعرف فطيمة الأسطورة بأنها:

I le mythe forme populaire qui représente l'art, la religion, la science et la philosophie, il est le jugement global et cryptes que l'homme a acquis et formulé dans un modèle de récit parle de la création, la mort et nous trouvons les êtres surnaturels qui sont une combinaison de la divinité, humaine et animale,Ce qui a identifié comment les différents niveaux de lecture multiple.

الشكل الشعبي الذي يمثل الفن والدين والعلم والفلسفة، إنها مجموع الحكم والخبايا التي اكتسبها الإنسان وصاغها في قالب سردي يتحدث عن الخلق، والموت، والبعث، ونجد فيها الكائنات الخارقة التي هي مزيج من الألوهية والحيوانية والإنسانية الأمر الذي أدى إلى اختلاف مستويات قراءتها.[٧]

يقول أرمسترونغ: "الأسطورة، كما نتذكر، هي حادثة تاريخية حصلت مرة واحدة. ولكن حدوثها سيستمر في كل وقت".[٨]

وبناء على ماسبق، يمكن تعريف الأسطورة بأنها قصة (غالباً ذات أصل واقعي) جاءت – وسيستمر استحضارها– بهدف تبسيط التعقيدات والتساؤلات الصعبة التي كان يواجهها الإنسان سواء ما كان منها يتعلق بنفسه أو بعلاقته بالكون والوجود والحياة.

المبحث الثاني: نشأة الأسطورة

يقول أرمسترونغ: "كان البشر دائماً صُنَّاعَ أسطورة".[٩] على الرغم من تعدد المدارس العلمية التي حاولت كل منها تأصيل نشأة الأسطورة، وتفسيرها إلا أن الباحث يؤمن بتعدد المستويات لفهمها فلا يمكن أن تُرد الأسطورة دائماً إلى منشأ واحد، وطبيعة واحدة. فلو تأملنا أساطير الشرق الأدنى القديم لوجدنا بعض أساطير الخلق تنطوي على عناصر نفسية متعددة، وبعض الأساطير الأخلاقية تشتمل على عناصر تاريخية كأسطورة الطوفان البابلية، وأسطورة جلجامش...إلخ. ولقد عدد السواح هذه المدارس العلمية على النحو التالي:[١٠]

(١) الأسطورة باعتبارها من فنون الأدب والحكمة

يرى هذا الاتجاه الأسطورة على أنها تراكم لنتاج الفكر الإنساني في مجال الأدب.[١١] حيث تروى القصص ويضاف إليها بعض العناصر من خيال الراوي حتى تكتمل على مدار عدة أجيال. وللأسطورة هنا دورها في توجيه السلوك والأخلاق والضبط الاجتماعي.

(٢) الأسطورة وظواهر الطبيعة

يُرجِع هذا الاتجاه الأساطير إلى منشأ طبيعي متعلق بعناصر الطبيعة.[١٢] فبعض الأساطير مرتبطة في نشأتها بالقمر، وبعضها بالشمس، والبعض الآخر بالسماء، والرعد، والبرق، والرياح، والأمطار...إلخ. فعلى سبيل

المثال تأمل الإنسان كوكبي الشمس والقمر وأراد معرفة ماهيتهما فتفتق ذهنه عن أن الشمس مركب إله الشمس يقوده عبر السماء، أما القمر فهو عربة تجلس فيها شقيقة إله الشمس وتجوب بها السماء ليلاً...إلخ.

(٣) الأسطورة والأيتيولوجيا

الأيتيولوجيا (Aetiology) هي تحديد السبب أو الأسباب الكامنة وراء ظاهرة من الظواهر أو حدث من الأحداث وغالباً ما يتم تقديمها في نطاق أسطوري أو تاريخي. ومن هنا فإن هذه المدرسة ترى أن الأسطورة قد وُجدت لتقديم الأسباب الكامنة وراء كثير من الظواهر التي رآها الإنسان في عالمه الواقعي.[١٣] فلماذا يموت الإنسان؟ وكيف يحصل على الخلود؟ وما هي الشمس والقمر؟ وما هو الرعد والبرق؟ وغيرها الكثير من الجوانب والظواهر التي فسرتها الأساطير بمفاهيم الإنسان القديم.

(٤) الأسطورة باعتبارها تاريخاً

ينظر أصحاب هذا الاتجاه للأسطورة باعتبارها واقعاً تاريخياً قام في الماضي قبل عصور التدوين، وهي بذلك بعيدة عن الخيال والتصور الذهني. وقد تم تناقل هذا الواقع التاريخي بين الأجيال عبر الذاكرة البشرية.[١٤] ويرد أصحاب هذا الرأي شمولية بعض الأساطير وتشابهها الأفقي والرأسي إلى الطبيعة الواقعية للأسطورة.

(٥) الأسطورة والطقس

هناك من العلماء وعلى راسهم جيمس فريزر في كتابه الغصن الذهبي (The Golden Bough) من يعزو ارتباط الأسطورة في نشأتها بالطقوس الدينية. فحين يمارس جيل ما بعض الطقوس الدينية ومع تقادم الوقت يُنسى سبب ممارسة هذه الطقوس، أو يفقد طقس من الطقوس الدينية معناه بالكلية بالنسبة للجماعة تأتي الأسطورة مفسرة له ومسوغة، وذلك من أجل استعادة هذا المعنى والحفاظ على هذا الطقس من الاندثار.[١٥]

(٦) الأسطورة والذرائعية

يرى مالينوفسكي أن للأسطورة وظيفتها في النسق الاجتماعي أو السياسي لأي مجتمع من المجتمعات. فهي تأتي لترسيخ بعض العادات القبلية المعينة، أو لتدعيم سيطرة عشيرة أو جماعة أو نظام اجتماعي.[١٦]

(٧) الأسطورة والكبت

تتشابه الأسطورة والحلم لدى فرويد سواء في الرموز أو التسلسل مما يوحي بأنهما نتاج العمليات النفسية اللاشعورية. فالأحداث في كليهما تقع حرة خارج قيود وحدود الزمان والمكان. والأبطال في كليهما يخضعون لتحولات سحرية ويقومون بأفعال خارقة هي انعكاس لما يشعرون به من رغبات وأمانٍ مكبوتة. وتفسير الأسطورة –والحالة كهذه – سيساعدنا في الفهم العميق لنفس الإنسان ورغباته المكبوتة.[١٧]

(٨) الأسطورة والنماذج البدائية

مثل أستاذه فرويد، يؤكد يونج على اللاشعور كمصدر للأسطورة. ولكنه يقصد باللاشعور هنا اللاشعور الجمعي وليس الفردي. فالأسطورة والحلم لا يعبران عن العناصر المكبوتة في لا شعور الفرد، ولم تأتي كنوع من التعويض عن رغبات مكبوتة، بل توجد في اللاشعور الجمعي وإن كان انبثاقها يكون من خلال الفرد. فكلما اتجهنا نحو الطبقات السفلى للنفس البشرية كلما ابتعدنا عن الفردية الإنسانية واقتربنا من الأرضية الإنسانية المشتركة حيث نجد هناك العالم بكل بساطة مجردًا من أي طابع شخصي فردي. فمن خلال رموز الأسطورة يتكلم العالم، وكلما ازداد الرمز عمقًا، كان أقرب للعالمية والشمول الإنساني.[١٨]

(٩) اللغة المنسية

في كتابه اللغة المنسية (The Forgotten Language)، يرى فروم أن الأسطورة والحلم لا علاقة لهما بالعالم العقلاني. فالعقل في حالة الحلم يعمل

ويفكر بطريقته الخاصة ولغته الخاصة. فبما أن اليقظة بوابة للعمل والفعل، فإن النوم بوابة التأمل عبر لغته الخاصة المتمثلة في الرمز. فالنوم وهو الانعتاق من الرغبة في التحكم بعالم المادة يجعلنا أكثر شفافية وحساسية مما يزيد من عمق معرفتنا بأنفسنا. وبذلك تكون حالة السبات القطب الثاني للوجود البشري في مقابل حالة اليقظة. وتصدر لغة الرمز عن الخبرات والمشاعر والأفكار الباطنة، كما تصدر اللغة المحكية عن خبرات الواقع، مع فارق هام يكمُن في شمولية لغة الرمز وعالميتها، وتجاوزها لفوارق الزمن والثقافة والجنس. والأسطورة، كما الحلم، تكمن أهميتها في تقديمها حكايات تشرح بلغة الرمز كمًّاً من الأفكار الدينية والفلسفية والأخلاقية. واستيعاب مفردات تلك اللغة يزيد من معارفنا بشكل كبير.(١٩)

يرى السواح بأن الأسطورة كانت نتاج ما أسماها مغامرة الإنسان الكبرى مع الكون وقفزته الأولى نحو المعرفة. فقد كان الإنسان محاطاً بعالمه الطبيعي من سماء ونجوم وقمر وشمس...إلخ، كما أنه لاحظ الموت وفقدان بني جنسه. هذه المواجهة وما صاحبها من غموض كانت الرحم التي ولدت منها الأسطورة. يقول السواح: "كان لدى الطفل متسع للتأمل في ذلك كله. لماذا نعيش؟ ولماذا نموت؟ لماذا خُلق الكون وكيف؟ من أين تأتي الأمراض؟ إلى آخر ما هنالك من أسئلة طرحت نفسها عليه، كما تطرح نفسها على طفل العصر الحديث. كان العقل صفحة بيضاء لم ينُقش عليها شيء، عضلة لم تألف الحركة خارج نطاق الغريزة، وبعد حدود رد الفعل. ومن أداته المتواضعة هذه، كان عليه أن يبدأ مغامرةً كبرى مع الكون، وقفزةً أولى نحو المعرفة، فكانت الأسطورة. وعندما يئس الإنسان تمامًا من السحر، كانت الأسطورة كل شيء له. كانت تأملاته وحكمته، منطقه وأسلوبه في المعرفة، أداته الأسبق في التفسير والتعليل، أدبه وشعره وفنه، شرعته وعرفه وقانونه، انعكاسًا خارجياً لحقائقه النفسية الداخلية. فالأسطورة نظام فكري متكامل، استوعب قلق الإنسان الوجودي، وتوقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، والأحاجي التي يتحداه بها التنظيم

الكوني المحكم الذي يتحرك ضمنه".[٢٠] وبذلك تكون الأسطورة – كما يراها السواح – وباختصار هي "مجمع الحياة الفكرية والروحية للإنسان القديم".

المبحث الثالث: الموت وحلم الخلود

إن أصدق حقائق الحياة الإنسانية وأكثرها حيرة بالنسبة للوعي الإنساني هي حقيقة الموت المتربص بالإنسان من جميع النواحي. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة: ٨). يقول فيورباخ: "في الموت ثمة منتصر أزلي هو الموت، وخاسر أزلي هو الإنسان، في الموت ثمة توقف أزلي عن التواجد عن العيش". [٢١]

ولقد حاول الإنسان منذ بداية خلقه التغلب على هذه الحقيقة المقلقة. فها هو أدم عليه السلام وهو أول إنسان خُلق يبحث عن الخلود. فقد تغلب عليه الشيطان حين دخل عليه من مدخل البحث عن "الخلود والمُلك الذي لا يبلى". ونظراً لعجز الإنسان عن تحقيق الخلود ظهرت لنا الأساطير التي تحاول تفسير الخوف من الموت ومحاولة التغلب عليه وتحقيق الخلود. وقد جاءت الأديان السماوية بالكثير من التفاصيل حول الموت بالإضافة لاعتباره بوابة العبور إلى الخلود الفردوسي أو الجحيمي الأبدي. فلا خلود إلا في الحياة الأخروية. ورد في سفر المكابيين الثاني: "ولكن ملك العالمين إذا متنا في سبيل شريعته فيقيمنا لحياة أبدية (٢ مكابيين ٧ : ٩)". ويقول عيسى عليه السلام لتلاميذه: "لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ" (يوحنا:٤). ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

وحتى بعض الأديان الوضعية وبعض الفرق الباطنية في الإسلام جاءت

بفكرة تناسخ الأرواح في محاولة للتغلب على الموت وتحقيق الخلود الأبدي بعد الموت. طبقاً لهذه الفلسفة يفنى جسد الإنسان، أما روحه فتظل هائمة لتعود وتولد من جديد، وهذه الحالة تُسمى تحوُّل الروح إلى جسد آخر، وتُطلق عليها مسميات عدة منها "الكارما".

ولم يكن حلم الخلود مقتصراً على الإنسان القديم، ففي العصور الوسطى كان للخيمياء (أصل الكيمياء) وعلمائها محاولات كثيرة لاكتشاف "أكسير الحياة" والوصول إلى الخلود. ومازال الإنسان يحاول إلى اليوم التغلب على الموت والتخلص منه وتحقيق الخلود عن طريق توظيف كل معارفه وتطوره العلمي والتكنولوجي لفهم الموت، وللتغلب على الأسباب التي تقودنا إليه، من شيخوخة، وأمراض، وحوادث، وكوارث طبيعية...إلخ.[٢٢] فالهندسة الجينية ومحاربتها للشيخوخة والطب التجديدي القائم على إصلاح أخطاء الجسم الإنساني عبر الخلايا الجذعية كلها محاولات لتحقيق الخلود. ويأتي الاستنساخ كصورة من صور البحث عن الخلود والتغلب على الفناء البشري حيث شهد يوم ٢٣ فبراير ١٩٩٧م الحدث الأكبر في هذا الاتجاه حين أُعلن عن نجاح تجربة الاستنساخ الوراثي للنعجة دولي انطلاقاً من خلية غير جنسية. ويوجد في عالمنا اليوم بعض المراكز التي تقوم بخدمات تجميد أجساد الموتى، أو أدمغتهم، وفق آليات متبعة، على أمل بلوغ البشرية مرحلة علمية متطورة تمكنها من إعادة هذه الأجساد الميتة إلى الحياة الدائمة والخالدة. وما هذه الجهود إلا حلقة في سلسلة محاولات الإنسان عبر تاريخيه هزيمة الموت وتحقيق حلم الخلود.

الفصل الثاني: أساطير الخلود

المبحث الأول: أسطورة آدابا وريح الجنوب

من أساطير الشرق الأدنى القديم المهمة والمتعلقة ببحث الإنسان عن الخلود وفشله في تحقيق ذلك أسطورة "آدابا وريح الجنوب" (Adapa and the

South Wind).[٢٣] عثر على هذه الأسطورة مدونة على ألواح من تل العمارنة في مصر (حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد) ومن مكتشفات مكتبة آشور بانيبال في آشور (حوالي القرن السابع قبل الميلاد).[٢٤] كان آدابا شخصيةً بارزةً في ديانة بلاد ما بين النهرين.[٢٥] كما أصبح نموذجًا للحاكم الحكيم. في هذا السياق، كان اسمه يُستخدم للحديث عن الشخصية الإيجابية أو لاستحضار القوة في طقوس طرد الأرواح الشريرة.[٢٦]

تذكر الأسطورة أن البشرية قد مرت بعد الطوفان بمرحلة ضياعٍ بلا هُدى ولا توجيه، مما أدى إلى خلق الإله إيا (إله الحكمة) لآدابا ليكون أول البشر ورائدًا لهم. منح الإله إيا (يُعتبره البعض أباه) آدابا الحكمة العظيمة، لكنه لم يمنحه الخلود والحياة الأبدية. ذات يومٍ وفي أثناء قيامه بواجباته اليومية في خدمة مدينة أريدو[٢٧] ومعبدها لا سيما تقديم الأسماك – تخبرنا الأسطورة – حدث أن آدابا كان يصطاد في المياه حين هاج النهر بسبب الريح العاتية القادمة من جهة الجنوب على شكل طائر،[٢٨] فانقلب قاربه. غضب آدابا من ذلك وتوعد بكسر أجنحة هذه الريح، وهو ما تم بالفعل مانعاً إياها من الهبوب لمدة سبعة أيام. تقول الأسطورة: "ريح الجنوب [...] سأكسر لك جناحك"،[٢٩] وما إن نطق فمه بذلك حتى كُسر جناح الريح، "ولسبعة أيام لم تهب على أرض آنو."[٣٠] فلما لاحظ الإله آنو عدم هبوب ريح الجنوب سأل وزيره عن ذلك: استدعى آنو وزيره لابرات قائلًا: "لماذا لم تهبَّ ريح الجنوب في الأيام السبعة الأخيرة؟". فأجابه الوزير: "إن آدابا ابن إيا قد كسر جناحها." فلمَّا سمع آنو هذا القول نهض عن عرشه وصاح قائلًا: "ليأتوا إليَّ به!". وهنا عرف إيا بالأمر، "وهو المطلع على مجريات السماء" فجهز آدابا ونصحه بثلاث نصائح. النصيحة الأولى هي كسب تعاطف الإلهين تموز وكزيدا واللذين سيقابلهما عند بوابات السماء أثناء رحلته.[٣١] تقول الأسطورة عن الإله آنو: "فألبس آدابا شَعرًا طويلًا، وزوَّده بوشاح الحِداد يضعه عليه، وقال له: "أي

آدابا، ستمضي إلى آنو، الملك، وفي صعودك ستأخذ طريق السماء، وتقترب من بوابة آنو. وسيكون في حراستها تموز وكزيدا، وعندما يريانك سيسألانك قائلَين: أيها الإنسان، من أجل من تبدو في هذه الهيئة؟ من أجل من ترتدي وشاح الحزن؟ فتجيب: لقد غاب عن الأرض إلهان؛ ولذا تجداننى حزينًا عليهما. فيسألان: ومن هما الإلهان الغائبان؟ فتجيب: إنهما تموز وكزيدا. وهنا سينظران لبعضهما وسيبتسمان ويقولان لك قولًا كريمًا، وسيتحدَّثان من أجلك في حضرة آنو، وسيقفان إلى جانبك عند مثولك أمامه".[٣٢] أما نصيحة إيا الثانية لآدابا فكانت عدم أكل أو شرب ما سيقدمه له الإله آنو خوفاً عليه – كما يزعم – من الموت (فقدان الخلود): "ولسوف يقدَّم لك طعام الموت فلا تأكله، وشراب الموت سيقدَّم لك لا تشربه". وأخيراً نصحه بقبول الزيت الذي سُيقدم له لمسح جسده وكذلك لبس الرداء الذي سيعطى له:" وسيعطونك عباءةً فالبسها، وزيتًا فادهن به نفسك".[٣٣] وقد نفذ آدابا الوصية كما هي: "جلبوا طعام الحياة ولكنه لم يقربه، وشراب الحياة فلم يشرب منه. وعباءةً جلبوا له فلبسها، وزيتًا جلبوا له فدهن به نفسه". نظر إليه الإله آنو متعجباً وقال: "تعال يا آدابا! لماذا لم تأكل، لم تشرب؟ هل تعلم أنك لن تحيا حياة أبدية، واحسرتي على البشر المساكين!". فقال آدابا مذهولاً: "الإله إيا سيدي هو الذي قال لي: لا تأكل، لا تشرب. قال الإله أنو: خذاه وأعيداه لأرضه".[٣٤] نعم لقد أُعيد آدابا إلى الأرض[٣٥] محققاً العديد من النجاحات: العفو عنه، والتحرر من الالتزامات الإقطاعية لمدينته (إريدو)، ولكنه – وهذا الأهم وبحسب هذه الأسطورة – قد فقد الخلود وسيتبعه البشر في ذلك.

من خلال هذه الأسطورة يتضح أن آدابا قد فقد الخلود جراء امتناعه عن تناول طعام الحياة ومائها بسبب نصيحة إلَهَهُ إيا الذي –وعلى ما يبدو– قد حَسَدَ البشر على الخلود، أو رغِبَ في استمرار آدابا في مهمته لخدمة مدينة أريدو ومعبدها.[٣٦]

المبحث الثاني: ملحمة جلجامش وفقدان الخلود

ملحمة جلجامش ملحمة سومرية شهيرة تمت كتابتها على ألواح طينية عُثر على نسخ منها في العديد من المواقع من بينها مكتبة الملك آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م.) في نينوى. تتناول هذه الملحمة مغامرات الملك جلجامش خامس ملوك سلالة أوروك الأولى، وهي ثاني سلالة سومرية حكمت بعد الطوفان (٣٠٠٠ –٢٦٠٠ ق.م.).

كان جلجامش شبه مقدس نظراً لأن أمه كانت من طائفة الآلهة، كان ثلثاه إله وثلثه الباقي بشر. ومن هنا كان يقوم بتسخير رعاياه للكثير من الأعمال الشاقة المرهقة، حتى أنهم لجأوا إلى آلهتهم بالدعاء لخلق رجل يستطيع أن يوقفه عن الظلم أو يعزله، فخلقت الآلهة شخصاً اسمه إنكيدو وجعلوا مسكنه في البرية الواسعة يتقاسمها مع الوحوش، فلم تكن له خبرة أو معرفة بحياة البشر وطبيعة مجتمعاتهم.[٣٧] ولقد نجح إنكيدو بمعرفته لتركيب المصايد والأحابيل التي يستعملها الصيادون في أن يبطل مفعولها مما ساهم في إنقاذ ما حوله من حيوانات البر. عندها فطن الصيادون لخطورة إنكيدو فتشاوروا فيما بينهم في أفضل الطرق للخلاص منه، واستقر رأيهم على إرسال إحدى بغايا مدينة أوروك إليه لتوقعه في أحابيلها.[٣٨] يقول الأب موجهاً ابنه الصياد الذي اشتكى من إنكيدو: "اذهب إلى أوروك وول وجهك شطرها، وأنبئ جلجامش عن بأس هذا الرجل وليعطيك بغياً مومساً تصحبها معك أيها الصياد، دعها تسيطر عليه وتروضه".[٣٩] وما هو إلا أسبوع واحد من صحبته للبغي، حتى أهمل إنكيدو رفاقه من الحيوانات البرية التي بدورها بدأت تزهد في صحبته وتبعد عنه شئياً فشئياً. أقنعت البغي إنكيدو بالمضي معها إلى مدينة أوروك، وهناك تعلم لبس الثياب، وأكل طعام أهل المدينة، وأدمن شرب الخمر، وتحول من مُجير للحيوانات البرية إلى مرشد يساعد الصيادين ويدل الرعاة على طرائق حماية قطعانهم من خطرها. وقد كانت من عادة جلجامش

مضاجعة كل عروس في المدينة قبل أن يدخل بها زوجها. فلما علم إنكيدو بذلك غضب غضباً شديداً وحاول منع جلجامش من ممارسة تلك العادة الحقيرة وحدث بينهما شجار وعراك عنيف تغلب فيه جلجامش على إنكيدو، ومن بعد ذلك العراك أصبحا صديقين حميمين. (٤٠)

شاهد جلجامش جثة رجل ميت طافية على سطح النهر فانتابه الذعر وانزعج خوفاً من الموت الذي كان في عقيدة السومريين والبابليين أمراً مرعباً حيث تذهب أرواح الموتى قسراً – سواء أكانوا ملوكاً أو غيرهم– إلى العالم السفلي البشع الذي يعجز اللسان عن وصفه وذكر أهواله.(٤١) حتى هذه اللحظة كان جلجامش يتمنى خلود الذِكر بعد الموت بالقيام بعمل عظيم وهو ما قاده إلى الذهاب إلى غابة الأرز لقتل الوحش المقدس حوواوا أو (حمبابا). وقد نجح مع صديقه إنكيدو في قتل هذا الوحش وقطع أشجار الأرز والعودة منتَصرين إلى أوروك حيث أقيمت لهما الاحتفالات العظيمة اللائقة بهما.(٤٢) وأثناء تجواله مزهواً فخوراً في شوارع أوروك لمحته الإلهة عشتار(إينانا)، وهامت بحبه وعرضت عليه الزواج منها: "تعال ياجلجامش وكن عريسي الذي اخترت". فرفض عرضها بكل قوة وغرور لإنه كان يعرف المصير المشئوم الذي انتهى إليه كل أزواجها السابقين.(٤٣) اغتاظت عشتار وطارت إلى السماء وطلبت من أبيها الإله آنو أن يرسل معها ثور السماء المقدس، كي تنتقم لكرامتها من جلجامش ومن رعاياه. وافق والدها بعد إلحاح منها وأذن لها بالثور المقدس الذي نزل خارج أسوار أوروك مما جعل جلجامش وسكان مدينته يتأهبون لمنازلته. قفز إنكيدو فوق ظهر الثور وأمسك بقرنيه، وغرس جلجامش سيفه في نحره فقتله. ففرح أهالي أوروك بالخلاص منه، أما عشتار التي كانت تراقب المعركة من فوق السور فكانت تبكي وتندب الثور القتيل، فما أن لمحها جلجامش حتى غضب وقطع إحدى أرجل الثور وقذفها نحوها متوعداً إياها بأنه سوف يجعل مصيرها كمصير الثور قريباً.(٤٤)

وصلت تفاصيل ما صنعه البطلان جلجامش وإنكيدو بالثور المقدس

بعدما قتلا حوواوا حارس جبل غابة الأرز إلى الآلهة فقرروا معاقبة هذين الخارجين على النظام والقانون، وقضوا على الفور بموت إنكيدو. يكتشف إنكيدو عن طريق الرؤيا (الحلم) أنه سيموت فيغضب ويبدأ بلعن البَغي التي أحضرته إلى أوروك.[٤٥] يحاول إله الشمس (Shamash) أن يعزي إنكيدو ويقلل من مخاوفه حيث يؤكد له أن الناس سيحزنون عليه وخاصةً جلجامش مما خفف من غضب إنكيدو، إذ "سكن قلبه فورًا".[٤٦] عندما كان إنكيدو يحتضر، طمأنه جلجامش أيضًا بأنه سيُدفن دفنًا لائقًا، وأن الناس سيحزنون عليه، وخاصةً نفسه. وقع إنكيدو مريضاً، ولم يطل به المرض حتى مات ليصيب جلجامش الهلع لموت صديقه المقرب، وظل واجماً بجانب جثته حتى خرج الدود من أنفه. هنا واجه جلجامش حقيقة الموت عياناً بياناً، فاختل تفكيره، وانطلق هائماً على وجهه وحيداً في السهوب والبراري ينوح ويبكي رفيقه وصديقه الحميم إنكيدو.[٤٧] لقد أدرك جلجامش تمامًا حقيقة فناءه. فتسأل: "هل يا ترى سأموت أنا أيضًا، ألست مثل إنكيدو ولا أختلف عنه؟"، ثم صرح بوضوح: "أنا أخاف الموت"[٤٨] وقرر على الفور التجول في البلاد بحثاً عن الخلود: "لذا أجوب البلاد".[٤٩]

لقد تيقن جلجامش بعدم وجود أية سعادة له في الحياة الأخرى ولا خلود ينتظره هناك، وكفر بمسألة البحث عن عمل يُخلد ذكراه، بعد أن شاهد الموت بحواسه الواعية، وعدل عن الاقتناع بأهمية الأعمال البطولية العظيمة فإنها لا تمنع الموت الشخصي، وتمكنت منه الرغبة في البحث عن وسيلة تمنع عنه الموت الشخصي (الفناء الجسدي). وفي خضم بحثه الفكري عن تلك الوسيلة تذكر أنه كان قد سمع عن رجل قد منحته الآلهة الخلود وسيعيش إلى الأبد، فقرر على الفور البحث عنه ليعرف منه سر خلوده.

في رحلة البحث هذه عن الخلود تخلى جلجامش عن ملابسه الفاخرة ولبس أسمالاً بالية وجلوداً وقابل السيدة سيدوري صاحبة الحانة التي تسكن عند

ساحل البحر. أخبرها بخوفه من الموت ومحاولته التغلب عليه: "الآن وقد رأيتُ وجهك يا صاحبة الحانة دعيني لا أرى الموت الذي أرهبه على الدوام".(٥٠) فنصحته صاحبة الحانة بالتمتع بكل لحظة من لحظات حياته فالخلود – كما قالت– مستحيل، والموت لا بد منه. جاء على لسان هذه المرأة الحكيمة: "إلى أين تسعى ياجلجامش، إن الحياة التي تبغي لن تجد، حينما خلقت الآلهة العظام البشر قدرت الموت على البشرية واستأثرت هي بالحياة، أما أنت يا جلجامش فليكن بطنك ملياً على الدوام، وكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء، وأقم الأفراح في كل يوم من أيامك، وأرقص وألعب مساء نهار، وأجعل ثيابك نظيفة زاهية، وأغسل رأسك، وأستحم في الماء، ودلل الصغير الذي يمسك بيدك، وأفرح الزوجة التي بين أحضانك، وهذا هو نصيب البشرية".(٥١)

لم يقتنع جلجامش بنصيحة سيدوري وواصل رحلته حتى بلغ النهر المحيط بالأرض حيث كان الرجل الخالد أوتنابشتم يعيش مع أهله على الجانب المقابل للنهر. كان النهر يسمى ماء الموت، لأن كل من يبتل بمائه يموت. عبر جلجامش مع البَحَّار (أور–شنابي) الذي اعتاد عبور هذا النهر بقارب أوتنابشتم حيث لقي هذا الأخير وأخبره عن سبب زيارته وهو البحث عن سر الخلود. أخبر أوتنابشتم جلجامش بحتمية موت البشر وأنه غير قادر على طلب الخلود له من الآلهة. ولكن جلجامش يصر في طلبه لمعرفة سر الخلود.(٥٢) أخبره أوتنابشتم أن الآلهة قرروا منذ زمن طويل لسبب غير معلوم إفناء الجنس البشري بطوفان غامر، وأن الإله العظيم (إيا) والذي كان صديقاً له أسر له بالقرار، وأشار عليه بصنع سفينة ينقذ بها نفسه وأهله وحيواناته حين يأتي الطوفان. وبعد أن هدأ الطوفان وغيض الماء تبين للآلهة أن خطتهم قد فشلت وأن بعض البشر قد نجوا من الطوفان.(٥٣) ولقد قررت الآلهة منح أوتنابشتم وزوجته صفة الخلود مقابل جهودهما في إنقاذ الجنس البشري من الفناء، واسكنوهما عند حافة الكون، وسمحوا لهما ولذريتهما بعمارة الأرض مرة أخرى.(٥٤)

قرر أوتنابشتم بعد شفاعة زوجته التي قالت مخاطبة زوجها: "لقد جاء جلجامش إلى هنا وقاسى التعب واشتطت به النوى، فما عساك أن تعطيه؟ وهو عائد إلى بلاده"[٥٥]، إخبار جلجامش بمكان بئر محددة وأنه سيجد في قاعها نباتاً شوكياً من أكل منه سوف يستعيد شبابه ويظل "خالداً".[٥٦] عبر جلجامش نهر الموت عائداً، واتجه نحو البئر التي وُصِفَت له، ونزل إلى قاعها بحجر مربوط في طرف حبل طويل، وانتزع النبات وخرج به. ولم يأكل جلجامش من النبات على التو، بل قرر أن يحفظه إلى أن تتقدم به العمر ويحتاج لتجديد شبابه.[٥٧] توقف جلجامش ليستحم في أحد الغدران، ووضع النبات على الشاطئ، وهنا خرجت أفعى وسرقت النبتة، ليتجدد جلدها وتترك جلجامش إلى دموعه: "فتشممت أفعى رائحة النبتة، وتسللت خارجة من الماء وخطفتها، وفيما هي عائدة، تجدد جلدها، وهنا جلس جلجامش وبكى...لم أجن لنفسي نعمة ما، بل لحيَّة التراب جنيت النعمة".[٥٨]وهكذا نجد الأفعى –وفقاً لأسطورة جلجامش– كانت السبب المباشر لفقد الإنسان للخلود بمعناه المادي (أي تجديد الشباب والصبا)، وإن كان جلجامش قد عاد من رحلة البحث هذه وهو مقتنع بأن خلود الإنسان يكون في أعماله الجليلة التي يقوم بها في حياته.

المبحث الثالث: التوراة وفقدان آدم وحواء للخلود

يخبرنا سفر التكوين أنه عندما خلق الله آدم وحواء كان كل شيء في انسجام تام مع خطة الله (التكوين ١: ٣١). أعطاهم الله تعليمات حول ما يجب عليهم فعله وما لا يجب عليهم (التكوين ٢: ١٦–١٧). عرف آدم وحواء أنهما لا يجب أن يأكلا من شجرة معرفة الخير والشر، لأنه في اليوم الذي يأكلان فيه سيموتان (التكوين ٢: ١٧). كانت كلمات الله تحذيرًا مباشرًا بأن الموت سيتبع إذا أكلا من الفاكهة المحرمة. إن إصدار هذه الأوامر يُوحي بأن البشر أحرار أخلاقيًا: لهم حرية الاختيار بين طاعة أوامر الله أو معصيتها. طاعة الله تُفضي إلى وفرة وإمكانية حياة أبدية، أما معصيته فتُعرِّضهم لعقوبة

الموت.[٥٩] للأسف، لم يطع آدم وزوجته أوامر الله في هذا الخصوص، بل انتهكاها بأكلهما من ثمرة الشجرة.

بعد أن خلق الله آدم مباشرةً، وضعه في جنة ليسكن فيها ويجد فيها ما يسد رمقه. وكما ورد في سفر التكوين (٢: ٨): (וַיִּטַּע יְהוָה אֱלֹהִים גַּן־בְּעֵדֶן מִקֶּדֶם וַיָּשֶׂם שָׁם אֶת־הָאָדָם אֲשֶׁר יָצָר) (وغرس الرب يهوه جنة في عدن شرقًا، ووضع هناك الإنسان الذي جبله). في كتابها آباء وأنبياء (Patriarchs and Prophets)، عالجت إيلين وايت (Ellen G. White) واقعة الإغراء هذه بالنسبة لحواء. أولًا، أن الزوجين في عدن "حُذرا من مكائد الشيطان"، وثانيًا، كيف استخدم المُغوي وسيطًا ليخدعهما ويوقعهما في الخطيئة:[٦٠]

In order to accomplish his work unperceived, Satan chose to employ as his medium the serpent—a disguise well adapted for his purpose of deception.

ولكي يتمكن الشيطان من إنجاز عمله دون أن يلاحظه أحد، اختار أن يستخدم الثعبان كوسيلة له، وهو تمويه مناسب تمامًا لغرضه في الخداع.

تذكر التوراة أن الحيَّة ساهمت ليس في دخول إبليس الجنة، بل في إغواء حواء: (וְהַנָּחָשׁ הָיָה עָרוּם מִכֹּל חַיַּת הַשָּׂדֶה אֲשֶׁר עָשָׂה יְהוָה אֱלֹהִים וַיֹּאמֶר אֶל־הָאִשָּׁה אַף כִּי־אָמַר אֱלֹהִים לֹא תֹאכְלוּ מִכֹּל עֵץ הַגָּן) (التكوين ٣: ١) (وَكَانَتِ الحَيَّةُ أَمْكَرَ الحَيَوَانَاتِ البَرِّيَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ. فَقَالَتْ لِلمَرْأَةِ: "أَحَقًّا قَالَ اللهُ لَكُمَا: لَا تَأْكُلَا مِنْ أَشْجَارِ الحَدِيقَةِ كُلِّهَا". فأجابتها حواء: (וּמִפְרִי הָעֵץ אֲשֶׁר בְּתוֹךְ־הַגָּן אָמַר אֱלֹהִים לֹא תֹאכְלוּ מִמֶּנּוּ וְלֹא תִגְּעוּ בּוֹ פֶּן־תְּמֻתוּן) (التكوين ٣: ٣) (فقالَتِ المَرْأَةُ لِلحَيَّةِ: "بَلْ نَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِ جَمِيعِ الأَشْجَارِ فِي الحَدِيقَةِ، أَمَّا الشَّجَرَةُ الَّتِي فِي وَسَطِ الحَدِيقَةِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ: "لَا تَأْكُلَا مِنْهَا وَلَا تَلْمِسَاهَا وَإِلَّا فَسَتَمُوتَانِ!). ولتشجعها الأفعى على الأكل دون مخافة الموت قالت لها: (לֹא־מוֹת תְּמֻתוּן. כִּי יֹדֵעַ אֱלֹהִים כִּי בְּיוֹם אֲכָלְכֶם מִמֶּנּוּ וְנִפְקְחוּ עֵינֵיכֶם וִהְיִיתֶם כֵּאלֹהִים יֹדְעֵי טוֹב וָרָע) (التكوين ٣: ٤-٥) (لَنْ تَمُوتَا. لَكِنَّ اللهَ يَعْرِفُ أَنَّكُمَا حِينَ تَأْكُلَانِ مِنْهَا، تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا، وَتُصبِحَانِ مِثْلَ

اللهِ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّر). وتستمر الرواية التوراتية متحدثة عن إعجاب حواء بهذه الشجرة الممنوع عليها أكلها: (וַתֵּרֶא הָאִשָּׁה כִּי טוֹב הָעֵץ לְמַאֲכָל וְכִי תַאֲוָה־הוּא לָעֵינַיִם וְנֶחְמָד הָעֵץ לְהַשְׂכִּיל וַתִּקַּח מִפִּרְיוֹ וַתֹּאכַל וַתִּתֵּן גַּם־לְאִישָׁהּ עִמָּהּ וַיֹּאכַל) (التكوين ٣: ٦) (رَأَتِ المَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلأَكلِ وَجَذَّابَةٌ لِلعَيْنِ، وَمَرغُوبٌ فِيهَا بِسَبَبِ مَا تُعْطِيهِ مِنَ الحِكْمَةِ لِلآكِلِ مِنْهَا. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا، وَأَكَلَتْ. ثُمَّ أعطَتْ لِزَوْجِهَا الَّذِي كَانَ مَعَهَا، فَأَكَلَ هُوَ أَيْضًا).

وبالنظر إلى النص بدقة، يستنتج المرء أن كلمات المُغوي كانت مقنعة لحواء لدرجة أنها لم تر أي ضرر في الأكل من هذه الشجرة. ولكن في النهاية قادها الأكل منها إلى الموت وفقدان الخلود بالإضافة إلى العقوبات الإلهية عليها وبنات جنسها حسب الرواية التوراتية. وقد ورد في بعض الدراسات أن نجاح إبليس والأفعى في اختراق حواء ومن ثم إيقاعها في الخطيئة كان راجعاً لبعدها الجسدي عن زوجها خلال قيامها بالأعمال اليومية المطلوبة منه. تقول وايت:

The angels had cautioned Eve to beware of separating herself from her husband while occupied in their daily labor in the garden; with him she would be in less danger from temptation than if she were alone.

لقد حذر الملائكة حواء من الانفصال عن زوجها أثناء انشغالها بعملهما اليومي في الجنة؛ فمعه ستكون أقل عرضة للإغراء مما لو كانت بمفردها.[٦١]

وفقًا لسفر التكوين (٣: ٧)، عندما تناول آدم وحواء من شجرة المعرفة، انفتحت أعينهما، وأدركا عريهما. ونتيجةً لأكلهما من ثمر هذه الشجرة المحرمة عليهما، شعرا بالخجل أمام الخالق. ويتجلى ذلك في محاولتهما الاختباء من الله، وتغطية أجسادهما بالأوراق: (וַתִּפָּקַחְנָה עֵינֵי שְׁנֵיהֶם וַיֵּדְעוּ כִּי עֵירֻמִּם הֵם וַיִּתְפְּרוּ עֲלֵה תְאֵנָה וַיַּעֲשׂוּ לָהֶם חֲגֹרֹת). ويتضح من النص انطباعًا بأنه بدلًا من "المعرفة والحكمة" اللتين توقعا الحصول عليهما بعد الأكل من الشجرة، غمر آدم وزوجته عريهما وشعورهما بالنقص. ونتيجةً لذلك، اختبأ الاثنان –

كما ورد في سفر التكوين – في وسط أشجار الجنة: (וַיִּשְׁמְעוּ אֶת־קוֹל יְהוָה אֱלֹהִים מִתְהַלֵּךְ בַּגָּן לְרוּחַ הַיּוֹם וַיִּתְחַבֵּא הָאָדָם וְאִשְׁתּוֹ מִפְּנֵי יְהוָה אֱלֹהִים בְּתוֹךְ עֵץ הַגָּן) (التكوين ٣: ٨).

في قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة الواردة في التوراة تم إلقاء اللوم على المرأة بأنها كانت سبب الغواية وما ترتب عليها من فقدان الخلود. وبدورها قامت المرأة باتهام الحيَّة بأنها من أغوتها. وربما أن مؤلفي النص التوراتي أرادوا عكس الطبيعية البشرية التي تميل غالباً إلى التنصل من المسؤولية وإيجاد كبش فداء أو مذنب آخر توجه إليه أصابع الاتهام. فعندما سأل الله آدم عن السبب الذي دفعه للأكل من الشجرة – كما ورد في سفر التكوين – ألقى اللوم على المرأة مدعيًا أن المرأة التي وهبه الله إياها قد خدعته: فسأله: (مَنْ قَالَ لَكَ إِنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتُكَ عَنْهَا؟) (التكوين ٣: ١١): (וַיֹּאמֶר מִי הִגִּיד לְךָ כִּי עֵירֹם אָתָּה הֲמִן־הָעֵץ אֲשֶׁר צִוִּיתִיךָ לְבִלְתִּי אֲכָל־מִמֶּנּוּ אָכָלְתָּ). وجاء الرد على النحو التالي: (וַיֹּאמֶר הָאָדָם הָאִשָּׁה אֲשֶׁר נָתַתָּה עִמָּדִי הִוא נָתְנָה־לִּי מִן־הָעֵץ וָאֹכֵל) (فَأَجَابَ آدَمُ: إِنَّهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا رَفِيقَةً لِي. هِيَ الَّتِي أَطْعَمَتْنِي مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ، فَأَكَلْتُ) (التكوين ٣: ١٢). وبالمقابل، فقد ألقت المرأة باللوم على الحيَّة عندما قالت إنها هي التي أغوتها: (וַיֹּאמֶר יְהוָה אֱלֹהִים לָאִשָּׁה מַה־זֹּאת עָשִׂית וַתֹּאמֶר הָאִשָּׁה הַנָּחָשׁ הִשִּׁיאַנִי וָאֹכֵל) (فَسَأَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ الْمَرْأَةَ: "مَاذَا فَعَلْتِ؟"، فَأَجَابَتْ: "أَغْوَتْنِي الْحَيَّةُ فَأَكَلْتُ) (التكوين ٣: ١٣).

وجراء دورهما – تذهب الرواية التوراتية – في الغواية البشرية وعصيان أمر الله عاقب الله الأفعى والمرأة. جاء في سفر التكوين (٣:١٤–١٥): (וַיֹּאמֶר יְהוָה אֱלֹהִים ׀ אֶל־הַנָּחָשׁ כִּי עָשִׂיתָ זֹּאת אָרוּר אַתָּה מִכָּל־הַבְּהֵמָה וּמִכֹּל חַיַּת הַשָּׂדֶה עַל־גְּחֹנְךָ תֵלֵךְ וְעָפָר תֹּאכַל כָּל־יְמֵי חַיֶּיךָ. וְאֵיבָה ׀ אָשִׁית בֵּינְךָ וּבֵין הָאִשָּׁה וּבֵין זַרְעֲךָ וּבֵין זַרְעָהּ הוּא יְשׁוּפְךָ רֹאשׁ וְאַתָּה תְּשׁוּפֶנּוּ עָקֵב) (فَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِلْحَيَّةِ: "لأَنَّكِ فَعَلْتِ هَذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ بَيْنَ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ، عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ، وَمِنَ التُّرَابِ تَأْكُلِينَ طَوَالَ

حَيَاتِكِ، وَأُثِيرُ عَدَاوَةً دَائِمَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ نَسْلَيْكُمَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ وَأَنْتِ تَلْدَغِينَ عَقِبَهُ).

أما المرأة فقد خاطبها الرب قائلاً: (אֶל־הָאִשָּׁה אָמַר הַרְבָּה אַרְבֶּה עִצְּבוֹנֵךְ וְהֵרֹנֵךְ בְּעֶצֶב תֵּלְדִי בָנִים וְאֶל־אִישֵׁךְ תְּשׁוּקָתֵךְ וְהוּא יִמְשָׁל־בָּךְ) (أُكَثِّرُ تَكْثِيراً أَوْجَاعَ مَخَاضِكِ فَتُنْجِبِينَ بِالآلاَمِ أَوْلاَداً، وَإِلَى زَوْجِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَتَسَلَّطُ عَلَيْكِ) (التكوين ٣: ١٦). كما نال العقاب آدم لأنه أطاع زوجته في الأكل من الشجرة المحرمة عليهما: (וּלְאָדָם אָמַר כִּי־שָׁמַעְתָּ לְקוֹל אִשְׁתֶּךָ וַתֹּאכַל מִן־הָעֵץ אֲשֶׁר צִוִּיתִיךָ לֵאמֹר לֹא תֹאכַל מִמֶּנּוּ אֲרוּרָה הָאֲדָמָה בַּעֲבוּרֶךָ בְּעִצָּבוֹן תֹּאכְלֶנָּה כֹּל יְמֵי חַיֶּיךָ. וְקוֹץ וְדַרְדַּר תַּצְמִיחַ לָךְ וְאָכַלְתָּ אֶת־עֵשֶׂב הַשָּׂדֶה. בְּזֵעַת אַפֶּיךָ תֹּאכַל לֶחֶם עַד שׁוּבְךָ אֶל־הָאֲדָמָה כִּי מִמֶּנָּה לֻקָּחְתָּ כִּי־עָפָר אַתָּה וְאֶל־עָפָר תָּשׁוּב) (وَقَالَ لآدَمَ: "لأَنَّكَ أَذْعَنْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ، وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتُكَ عَنْهَا، فَالأَرْضُ مَلْعُونَةٌ بِسَبَبِكَ وَبِالْمَشَقَّةِ تَقْتَاتُ مِنْهَا طَوَالَ عُمْرِكَ. شَوْكاً وَحَسَكاً تُنْبِتُ لَكَ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ جَبِينِكَ تَكْسَبُ عَيْشَكَ حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ، فَمِنْ تُرَابٍ أُخِذْتَ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ") (التكوين ٣: ١٧-١٩).[٦٢]

لقد تأثرت قصة الخطيئة في العهد القديم بأساطير الشرق الأدنى القديم فظهرت الحيَّة لتمثل مصدر الشر والغواية بعد أن تسللت إلى الجنة، كما القت هذه القصة اللوم على حواء وجعلتها سبباً مباشراً في معصية آدم مما قد يفسر النظرة الدونية للمرأة في الدراسات الدينية اليهودية.[٦٣] فقد نُظر للمرأة على أنها نجسة ومصدر للغواية. يقول مفسري العهد القديم: "بكلام الشيطان تحركت الشهوة في قلب حواء فرأت الشجرة وثمارها المحرمة أنها جميلة وشهية ومفرحة مع أنها لم تكن تراها هكذا من قبل، وذلك لقبولها الحوار مع الشيطان، وخضعت المرأة لغوايته فمدت يدها وأكلت من الشجرة وبهذا انفصلت عن الله بالعصيان وسقطت في الشر. وإذ سقطت تدنست مشاعرها فأرادت إسقاط زوجها أيضاً في الشر ولم تعد معينة له، بل وسيلة لإسقاطه في الخطئة، أما

آدم فأحب امرأته أكثر من الله حتى أنه قَبِل كلامها ورفض وصية الله فسقط في الخطئة".(٦٤)

وهذا ما تؤكده ليلى ليه برونر في كتابها: من حواء إلى أستير: تصوُّرات الحاخامات للنساء في الكتاب المقدَّس (From Eve to Esther: Rabbinic Reconstructions of Biblical Women): "ولأن حواء تُعتبر مصدر للخطئة في التلمود والمدراش وُجدت الحاجه لكبحها وتسخير طاقتها الخطيرة، وإحداث مناطق لعزلة وتبعية الأنثى. لذلك فالهلخاة المتعلقة بالمرأة والمنبثقة من تفسير قصة حواء أحياناً مقيدة للمرأة. ومن الواضح أن اتجاهات الحكماء نحو حواء كان لها أثر كبير في حياة المرأة اليهودية لكل الأجيال".(٦٥)

المبحث الرابع: الحرمان من الخلود في القرآن الكريم

على الرغم من أن هذه الدراسة لا تنوي معالجة موضوع الحرمان من الخلود في القرآن الكريم بالتفصيل، إلا أن النظرة العامة لهذا الموضوع في نهاية هذه الدراسة ستكون مهمة لسببين: تبيان سمو الخطاب القرآني، والتأكيد على أهمية اتخاذ القرآن الكريم مرجعية لدراسات الشرق الأدنى القديم بالذات فيما يخص الموضوعات العقدية والفكرية. فعلى الرغم من أن القرآن الكريم كتاب عظة وعبرة إلا أن ما ورد فيه حول هذه الموضوعات الخاصة بالحضارات السابقة عليه زمنياً هو القول الحق.

فبعد أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وزوجته وأسكنهما الجنة أعطاهما الحرية في الأكل من ثمارها أين ومتى شاءا ما عدا شجرة واحدة حددها لهما. قال تعالي: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥). ولكن الشيطان وبدافع الحسد لأدم لتكريم الله له نجح في اغواء أبي البشر وزوجته: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦). ويلاحظ في

الآية الأولى أن الخطاب الإلهي كان للزوجين معاً، والتحذير من الأكل من الشجرة كان لهما معاً (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ). كما أن وسوسة الشيطان كانت لكليهما (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ) (الأعراف: ٢٠). فلم تكن هذه الوسوسة لحواء وهي بدورها أقنعت آدم كما جاء في القصص التوراتي على سبيل المثال.[٦٦] لم تذكر لنا سورة البقرة مدخل إبليس (حيلته) لإقناع الزوجين بالأكل من هذه الشجرة التي نهاهما الله سبحانه وتعالى عنها. ولكن هذا المدخل يتضح في سورة الأعراف. قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٩-٢٠). فالشيطان لامس عند آدم وزوجته أهمية "الخلود" بالنسبة لهما فاتخذ أمر الخلود مدخلاً له (أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ).

موضوع الخلود وتأثيره على وقوع آدم وزوجته في الخطيئة يتكرر كذلك في سورة طه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠)﴾ (الأعراف: ١١٥-١٢٠). فالوسوسة هنا – كما دلت الآية الكريمة– كانت في الأساس لأدم عليه السلام مما يعني براءة حواء من تهمة الغواية البشرية التي ألصقتها بها التوراة. فإبليس وعده هنا بأن سيدله على شجرة "الخلد الذي لا يبلى"، أي الخلود الدائم. والغريب أن آدم انساق خلف وعوده الكاذبة على الرغم من التحذير الإلهي له بأن إبليس عدو له ولزوجه وأنه يعمل جاهداً على إخراجهما من الجنة: (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى). فالتحذير الإلهي هنا مباشر: إن استمعت يا آدم إلى الشيطان

وأكلت من الشجرة المذكورة فسيكون عقاب ذلك الخروج من الجنة، ثم تتعرض للشقاء، بالكدح والعمل في الأرض بدلاً من حياة النعيم التي تحياها في الجنة. ولكن إبليس نجح في مسعاه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١).

وقد ترتب على هذه المعصية البشرية لأوامر الله تعالى العقوبات التالية:

- نزع الله عنهما لباسهما، لباس أهل الجنة، مما كشف لهما عورتاهما المستورة، عقوبة لهما على تلك الخطيئة: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ (طه: ١٢١). لذلك نجدهما ينزعان من ورق أشجار الجنة ما يستطيعان ويلصقانه على أنفسهما ليسترا ما انكشف من هذه العورات: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١).
- أخرجهما الله من الجنة وأورثهما الأرض لوقت معلوم في حالة صراع دائم مع إبليس. قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦).

فلما علما آدم وحواء بخطئهما ندِما ندماً عظيماً، وقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)، أي ربنا ظلمنا أنفسنا بعصيان أوامرك والأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، أي مِّمن أضاعوا حظَّهم في الدنيا والآخرة. وبعد سماع هذه الكلمات التي لقنها الحق جل وعلا لأدم تاب الله عليه: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧).

وهكذا فإن القرآن الكريم لم يلصق الغواية وما تلاها من خطئة وفقدان للخلود بحواء. فقد جاء الخطاب الإلهي التحذيري من طاعة إبليس أحياناً لآدم عليه السلام وأحياناً أخرى لهما معاً. ووُجِهَ اللوم بعد الوقوع في المعصية لهما

سوياً في بعض الآيات، كما تم في آيات أخرى توجيهه لآدم عليه السلام بصفته المسؤول أيضاً كما في سورة الأعراف. ويتضح من القرآن الكريم أن إبليس وبكل وضوح هو سبب هذه الغواية للبشر ولم يحتاج لواسطة بينه وبين الزوجين، فلم تظهر الحيَّة أو أي دور لها في النص القرآني. وجاءت العقوبات الإلهية كذلك متماشية مع عظمة الشارع جلا وعلا فلا امتهان لكرامة المرأة بذكر دورتها الشهرية، أو آلام ولادتها، بل أُخرجا سوياً من الجنة، وأنزلا إلى الأرض ليعمراها. لكل ذلك لم تتأثر مكانة المرأة في الإسلام بارتكاب حواء للمعصية مع زوجها، فلا نجد في الإسلام أي تشريع –كما نرى في اليهودية والنصرانية[٦٧] – يحط من قدر المرأة نظير إغوائها المزعوم لآدم.

الخاتمة

(١) لقد سعى الإنسان للخلود منذ بداية خَلقِهِ كما يتبين ذلك في قصة آدم عليه السلام وزوجته حواء وأكلهما من الشجرة المحرمة عليهما، وبالتالي خروجهما من الجنة.

(٢) كان آدابا، مثل جلجامش، يسعى إلى الخلود، وكانت زيارته لأنو محكوم عليها بالفشل، إذ حرمته من سعيه الذي كاد أن يتحقق (بفضل طاعته العمياء لنصيحة إيا الخادعة). وبالتالي تتشابه أسطورة جلجامش وأسطورة آدابا وقصة آدم عليه السلام في التوراة في كونها جميعاً تفسيرات لظاهرة واحدة وهي "الفناء البشري".

(٣) تؤكد لنا قصة آدم عليه السلام استحالة خلود الإنسان حتى أول إنسان خُلِق.

(٤) تشير أسطورة آدابا أن الخلود هو امتياز خاص بالآلهة ولا يمكن أن

يحصل عليه أي إنسان، حتى أحكم الناس على الإطلاق. فآدابا، وهو الأبرز بين الرجال، والذي صُمِمَت البشرية كلها على غراره – كما تزعم الأسطورة– لم يستطيع الخروج من طبيعته البشرية الفانية وتحقيق الخلود. وهو الأمر الذي تؤكده ملحمة جلجامش في حق أشجع الناس وأقواهم على الإطلاق.

(٥) إن البديل للخلود ليس الموت، بل الحياة على الأرض. ومع أنها حياة مؤقتة وعرضة لتقلبات القدر، ولكنها ليست خالية من الرضا في بعض جوانبها.

(٦) تؤكد حقيقة فقدان آدم للخلود عن طريق غواية إبليس كما جاء في القرآن الكريم حقيقة مهمة جداً بالنسبة لنا وهي ارتباط الخطيئة والمعصية بطبيعة الإنسان البشرية.

(٧) عَزَت أسطورة آدابا فقدان الإنسان الخلود للإله إيا الذي خدع آدابا بتوصياته وذلك ربما بدافع الغيرة من البشر أو الرغبة في استبقائهم تحت السيطرة.

(٨) مع التأكيد على طبيعة الإنسان الفانية، كانت الحيَّة (الأفعى) هي السبب المباشر وراء فقدان الإنسان الخلود في ملحمة جلجامش.

(٩) في قصة فقدان الخلود الواردة في التوراة كانت الحيَّة والمرأة (حواء) هما السبب المباشر لفقدان الخلود.

(١٠) عند الحديث عن معصية آدم وزوجه وفقدانهما الخلود في القرآن الكريم لم يتم الحديث عن الحيَّة أو المرأة أو غيرها كسبب للغواية، بل كان واضحاً أن إبليس هو من أغوى الزوجين. قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦).

(١١) لم يُلقَ القرآن الكريم باللوم على المرأة دون الرجل. فقد جاء الخطاب الإلهي التحذيري أحياناً موجهاً لهما سوياً: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. كما جاءت الوسوسة الشيطانية لهما جميعاً: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٩-٢٠). وفي سورة الأعراف كان التحذير الإلهي من ناحية ووسوسة الشيطان من ناحية أخرى كلها موجهة لآدم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠)﴾ (الأعراف: ١١٥-١٢٠)، بل أن المعصية قد ربطت في القرآن الكريم بآدم عليه السلام بسبب أن التحذير الإلهي كان موجهاً له في الأساس. قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١). مما يدل على سمو الخطاب القرآني وعدالته وإنصافه للمرأة.

(١٢) في القرآن الكريم جاءت العقوبات الإلهية متماشية مع عظمة الشارع جلا وعلا فلا عقوبات للمرأة دون الرجل، ولا امتهان لكرامة المرأة بذكر دورتها الشهرية، أو آلام ولادتها، بل نُزِعَ عنها مع زوجها لباسهما، وأُنزلا سوياً إلى الأرض ليعمراها.

(١٣) لم تتأثر مكانة المرأة في الإسلام بارتكاب حواء للمعصية مع زوجها، فلا نجد في الإسلام أي تشريع –كما نرى في اليهودية والنصرانية – يحط من قدر المرأة نظير إغوائها المزعوم لآدم.

التوصيات

(١) أهمية العناية بالتاريخ الفكري لحضارات الشرق الأدنى القديم.

(٢) ضرورة أخذ القرآن الكريم كمرجع لدراسات التاريخ الفكري والديني لحضارات الشرق الأدنى القديم بدلاً من التوراة التي حرصت الدراسات الغربية المتخصصة خلال العقود الماضية على تأكيد مرجعيتها.[٦٨] فمع حقيقة أن القرآن الكريم يعتبر كتاب عظة وعبرة في المقام الأول، إلا أن ما ورد فيه حول الموضوعات العقدية والفكرية الخاصة بالحضارات السابقة عليه زمنياً هو القول الحق.

الهوامش:

(1)ampbell, J. The Hero with a Thousand Faces, Princeton University Press, 2004, p. 20.

(٢) محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٢.

(3)Campbell, The Hero with a Thousand Faces, p. 20.

(٤) أنظر: خزعل الماجدي، ميثولوجيا الخلود: دراسة في أسطورة الخلود وبعده في الحضارات القديمة، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م؛ نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٨م.

(٥) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، (د.ت)، ٤ /٣٦٣ (مادة: سطر).

(٦) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ٣٤٦/٨.

(٧) فطيمة الزهرة، "مصطلح الأسطورة حقيقته وعلاقته بالخرافة والحكاية"، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، ع ٥(٢)، ص ١٣٠.

(٨) كارين أرمسترونغ، تاريخ الأسطورة، ترجمة وجيه قانصو، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨م، ص ٩٧.

(٩) أرمسترونغ، تاريخ الأسطورة، ص ٧.

(١٠) أنظر: فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م، ص ص ٢٠-٢٩.

(11)Freund, Philip, Myths of Creation. W. H. Allen, London, 1964.

(12)Kirk, G. S., The Nature of Greek Myths, Pelican Book, 1977, p. 43.

(13) Kirk, The Nature of Greek Myths, p. 35.

(14)Kirk, The Nature of Greek Myths, p. 29.

(١٥) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص٢٢.

(16) alinowski, Bronislaw, Magic, Science, and Religion, New York, The Free Press, 1948, p. 74.

(١٧) سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى صفوان، القاهرة، مكتبة التحليل النفسي، ١٩٩٤م. انظر كذلك: Freud, ,Sigmond, Totem and Taboo, The Basic Writings, Modern Library, N.Y. 1938.

(١٨) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص ٢٤.

(١٩) أنظر: Fromm, Erich., The Forgotten Language, Holt, Rinnart and Winston, New York 1951.

(٢٠) السواح، مغامرة العقل الأولى، ص ٢٦.

(٢١) لودفيغ فيورباخ، أفكار حول الموت والأزلية، ترجمة نبيل فياض، بيروت، دار الرافدين، ٢٠١٧م، ص٨.

(٢٢) بن زينب شريف، "الاستنساخ في مواجهة فكرة الموت، أو رحلة البحث عن الخلود في عصر الثورة البيوتكنولوجية"، مجلة مقاربات فلسفية، ع ١١ (١)، ٢٠٢٤م، ص ص ٣٩٥-٤١٠.

(٢٣) عندما تم اكتشاف هذه الأسطورة رأى بعض العلماء أنها تمثل النص السومري لقصة آدم عليه السلام الواردة في التوراة. ولكن هناك من يرى أن لا علاقة بين القصتين. أنظر: Heidel, A., The Babylonian Genesis,Chicago, 1951; Furlani, G., "Il mito di Adapa," Rendiconti della R. Accademia Nazionale dei Lincei. Classe di scienze, etc. 6/5 (1929): 113-171.

(٢٤) أفضل ترجمة لهذه الأسطورة: Speiser, E. A., Akkadian Myths and Epics, in Ancient Near Eastern Texts, edited by James Pritchard, Princeton, New Jersey, 1969, pp. 101-103.

(25) Millstein, S. J. The Origins of Adapa. Zeitschrift für Assyriologie 105, 2015.

(26) Strong, S. A., Note on a Fragment of the Adapa Legend. Proceedings of the Society of Biblical Archaeology 16: 1894, 274-79; Talon, PH., Le mythe d'Adapa. Studi Epigrafici e Linguistici sul Vicino Oriente Antico 7, 1990, 43-57 .

(٢٧) أبو شهرين جنوب غربي الناصرية، جنوب العراق اليوم.

(28)Mohammad, Jihan Izzat, Adaba and the South Wind A Myth from El-

Amarna. (14th century B.C.), Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series, 2023, Vol. (45): 2, pp. 147-162.

(29)Speiser, Akkadian Myths and Epics, pp. 101-103.

(30)Mohammad, Adaba and the South Wind A Myth from El-Amarna, p. 152.

(٣١) انظر: Roux, G. "Adapa, le vent et 1'eau," RA, 1961, vol. 55, pp. 13-33.

(32)Mohammad, Adaba and the South Wind A Myth from El-Amarna, pp. 152-153.

(33)Mohammad, Adaba and the South Wind A Myth from El-Amarna, p. 153.

(34)Mohammad, Adaba and the South Wind A Myth from El-Amarna, p. 154.

(35)Antoine, Cavigneaux (2014), "Une version Sumérienne de la légende d'Adapa (Textes de Tell Haddad X)", Zeitschrift Für Assyriologie, 2014, vol. 104, pp. 1–41.

(٣٦) انظر على سبيل المثال: Pedersen, J., "Wisdom and Immortality," Wisdom in Israel and in the Ancient Near East, ed. M. Noth and D. Winton Thomas, Leiden, 1955, p. 244.

(٣٧) طه باقر، ملحمة كلكامش، لندن، دار الوراق، ٢٠٠٩م، ص ٨٩.

(٣٨) ولفرد جورج لامبرت، "ملحمة جلجامش في الأدب والتاريخ القديم"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ع (١٨)، ١٩٩٥م، ص ٦٣.

(٣٩) باقر، ملحمة كلكامش، ص ٨٩.

(٤٠) باقر، ملحمة كلكامش، ص ص ١٠٥-١٠٨؛ ديفيد دامروش، كتاب بين الركام: ملحمة جلجامش العظيمة كيف ضاعت وكيف اكتشفت، ترجمة موسى الحالول، القاهرة، المركز الدولي للترجمة، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٥.

(٤١) لامبرت، "ملحمة جلجامش في الأدب والتاريخ القديم"، ص ٦٤.

(٤٢) لتفاصيل المعركة مع حوواوا، أنظر: باقر، ملحمة كلكامش، ص ص١١١-١٢٤.

(٤٣) دامروش، كتاب بين الركام، ص ٢٥٢.

(٤٤) لامبرت، "ملحمة جلجامش في الأدب والتاريخ القديم"، ص ٦٥.

(٤٥) باقر، ملحمة كلكامش، ص ١٤١.

(46)Dalley, "Epic of Gilgamesh," Tablet VII, 87-88.

(٤٧) باقر، ملحمة كلكامش، ص ١٥٠.

(٤٨) لامبرت، "ملحمة جلجامش في الأدب والتاريخ القديم"، ص ٦٦.

(49)Dalley, "Epic of Gilgamesh," Tablet IX, 95.

(٥٠) باقر، ملحمة كلكامش، ص ١٦٠.

(٥١) طه باقر، ملحمة جلجامش وقصص أخرى عن جلجامش والطوفان، بغداد، ١٩٨٦م، ص ص١٣٧-١٣٨.

(٥٢) دامروش، كتاب بين الركام، ص٢٦٠.

(٥٣) باقر، ملحمة كلكامش، ص ص ١٧٦-١٧٧.

(٥٤) لامبرت، "ملحمة جلجامش في الأدب والتاريخ القديم"، ص ٦٧.

(٥٥) باقر، ملحمة جلجامش، ص ١٦٥.

(٥٦) دامروش، كتاب بين الركام، ص٢٦٧.

(٥٧) باقر، ملحمة كلكامش، ص ١٩٣.

(٥٨) لامبرت، "ملحمة جلجامش في الأدب والتاريخ القديم"، ص ٦٨.

(59)Hartley, John E., **New International Biblical Commentary**, Hendrickson Publishers, Peabody, Massachusetts, 2000, p. 6.

(60)White, Ellen G., Patriarchs and Prophets, Ellen G. White Estate, Inc, 2018, p. 37.

(61)White, Patriarchs and Prophets, p. 38.

(٦٢) لمناقشة هذه العقوبات أنظر: فاطمة المعصار ومحمد زهير، ""خطئة" حواء في الأديان السماوية ومكانة المرأة: أية علاقة"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع٢٧، ٢٠١٨م، ص ص ١١٤-١١٦.

(٦٣) عمار محمد يونس وإسراء محسن المرعبي، "قصة الخطئة في العهد القديم"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة البصرة، ع٢٧، ٢٠١٩م، ص ٢١٥.

(٦٤) مجموعة من كهنة وخدام كنيسة مار مرقص بمصر الجديدة ، "الموسوعة الكنسية - لتفسير العهد القديم "، كنيسة مار مرقص القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ص ٤١-٤٣.

(65) Bronner, Leila Leah., From Eve to Esther: Rabbinic Reconstructions of Biblical Women, Westminster John Knox Press, 1994, p.22. ؛ انظر كذلك: Swidler, Leonard J., Women in Judaism: The Status of Women in Formative Judaism, Metuchen, N.J: Scarecro Press, 1976, pp. 53-54.

(٦٦) ورد في بعض كتب التفسير الإسلامية ذكر حواء والحيَّة وقد يكون ذلك بتأثير من الإسرائيليات. فقد جاء في تفسير القرطبي: "إن أول من أكل من الشجرة حواء بإغواء إبليس إياها – على ما يأتي بيانه – وإن أول كلامه كان معها لأنها وسواس المخدة، وهي أول فتنة دخلت على الرجال من النساء، فقال: ما منعتما هذه الشجرة إلا أنها شجرة الخلد، لأنه عَلِم منهما أنهما كانا يحبان الخلد، فأتاهما من حيث أحبا– " حبك الشيء يعمي ويصم " – فلما قالت حواء لآدم ذلك أنكر عليها وذكر العهد، فألّح على حواء وألّحت حواء على آدم، إلى أن قالت: أنا آكل قبلك حتى إن أصابني شيء سلمت أنت، فأكلت فلم يضرها، فأتت آدم فقالت: كل فإني قد أكلت فلم يضرني، فأكل فبدت لهما سوءاتهما وحصلا في حكم الذنب" (أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبدالله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م، ١/ ٤٥٧–٤٥٨). وقال كذلك: "لا خلافَ بين أهل التأويل وغيرهم أنَّ إبليسَ كان متولي إغواء آدم، واختُلف في الكيفية، فقال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلماء: أغواهما مشافهةَ، ودليل ذلك قولُه تعالى: (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) [الأعراف: ٢١]، والمقاسمة، ظاهرُها المشافهة. وقال بعضهم – وذكره عبد الرزاق عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّه –: دخل الجنةَ في فم الحيَّة، وهي ذاتُ أربعٍ كالبُخْتِيَّة، من أحسن دابةٍ خلقها اللّٰه تعالى، بعد أن عرضَ نفسه على كثير من الحيوان، فلم يُدْخِلْه إلا الحيَّة، فلما دخلت به الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى اللّٰه آدم وزوجه عنها؛ فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها! فلم يزل يُغوِيها حتى أَخذتها حواء، فأكلَتْها، ثم أغوى آدم، وقالت له حواء: كل؛ فإني قد أكلت، فلم يضرني، فأكل منها، فبدت لهما سوءاتهما، وحصلا في حكم الذنب، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: أين أنت؟ فقال: أنا

هذا يا رب، قال: ألا تخرج؟ قال: أستحيي منك يا رب، قال: اهبط إلى الأرض التي خلقت منها. ولُعنت الحيَّة، ووردت قوائمها في جوفها، وجُعلت العداوة بينها وبين بني آدم، ولذلك أُمِرنا بقتلها، على ما يأتي بيانه. وقيل لحواء: كما أدميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم كل شهر، وتحملين وتضعين كرها تشرفين به على الموت مراراً" (١/٤٦٤-٤٦٥).

(٦٧) أنظر: رسالة بولس إلى تيموثاوس (١ تيموثاوس ٢: ١١-١٥).

(68) Smith, G., The Chaldean Account of Genesis, Cambridge, Cambridge university Press, 2018; Hays, Christopher B., Hidden Riches: A Sourcebook for the Comparative Study of the Hebrew Bible and the Ancient Near East, Westminster John Knox Press, 2014.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية

القرآن الكريم.

التوراة.

الأنجيل.

أرمسترونغ، كارين ، تاريخ الأسطورة، ترجمة وجيه قانصو، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨م.

باقر، طه، ملحمة كلكامش، لندن، دار الوراق، ٢٠٠٩م.

باقر، طه، ملحمة جلجامش وقصص أخرى عن جلجامش والطوفان، بغداد، ١٩٨٦م.

بن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٨م.

الخطيب، محمد، الفكر الإغريقي، القاهرة، منشورات دار علاء الدين، ١٩٩٩م.

دامروش، ديفيد، كتاب بين الركام: ملحمة جلجامش العظيمة كيف ضاعت وكيف اكتشفت، ترجمة موسى الحالول، القاهرة، المركز الدولي للترجمة، ٢٠٠٦م.

الزهرة، فطيمة، "مصطلح الأسطورة حقيقته وعلاقته بالخرافة والحكاية"، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، ع ٥(٢)،٢٠١٧م، ص ص ١٣٠-١٤٧.

السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م.

شريف، بن زينب، "الاستنساخ في مواجهة فكرة الموت، أو رحلة البحث عن الخلود في عصر الثورة البيوتكنولوجية"، مجلة مقاربات فلسفية، ع ١١ (١)، ٢٠٢٤م، ص ص ٣٩٥-٤١٠.

العتيبي، فهد بن مطلق، "تطور الفكر الديني في الجزيرة العربية قبل الإسلام: دراسة تاريخية نقدية"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج ٣١، ع ١٢١، ٢٠١٣م، ص ص ٧٧-١١٩.

فرويد، سيجموند، تفسير الأحلام، مكتبة التحليل النفسي، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

فيورباخ، لودفيغ، أفكار حول الموت والأزلية، ترجمة نبيل فياض، بيروت، دار الرافدين، ٢٠١٧م.

القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبدالله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م.

لامبرت، ولفرد جورج، "ملحمة جلجامش في الأدب والتاريخ القديم"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ع (١٨)، ١٩٩٥م، ص ص ٥٧-٧٤.

الماجدي، خزعل، ميثولوجيا الخلود: دراسة فس أسطورة الخلود وبعده في الحضارات القديمة، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

مجموعة من كهنة وخدام كنيسة مار مرقص بمصر الجديدة، "الموسوعة الكنسية - لتفسير العهد القديم "، كنيسة مار مرقص القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

المعصار، فاطمة ومحمد زهير، ""خطئة" حواء في الأديان السماوية ومكانة المرأة: أية علاقة"، مجلو علوم الإنسان والمجتمع، ع٢٧، ٢٠١٨م، ص ص ١٠٧-١٣٠.

يونس، عمار محمد وإسراء محسن المرعبي، "قصة الخطئة في العهد القديم"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة البصرة، ع ٢٧، ٢٠١٩م، ص ص ٢٠٣-٢٢٠.

ثانياً: الأجنبية

Alster, Bendt., "Epic Tales from Ancient Sumer: Enmerkar, Lugalbanda, and Other Cunning Heroes." Civilizations of the Ancient Near East, Jack M. Sasson (ed), vol. IV. New York, Macmillian, 1995, pp. 2315-2326.

Antoine, Cavigneaux., "Une version Sumérienne de la légende d'Adapa (Textes de Tell Haddad X)", Zeitschrift Für Assyriologie, 2014, vol. 104, pp. 1–41.

Bandstra, Barry., Reading the Old Testament: An Introduction to the Hebrew Bible, Toronto, Wadsworth, 2004.

Baqer, Taha. An Introduction to the History of Ancient Iraqi Literature, Baghdad, Baghdad University, 1976.

Beyerlin, Walter (Ed)., Near Eastern Religious Texts Relating to the Old Testament, Philadelphia, Westminster Press, 1978.

Black, J.A., "Inanna's Descent to the Netherworld," The Electronic Text Corpus of Sumerian Literature (http://www-etcsl.orient.ox.ac.uk/), Oxford, 2006.

Black, Jeremy, and Anthony Green., Gods, Demons, and Symbols of Ancient Mesopotamia: An Illustrated Dictionary, University of Texas Press, 1992.

Bronner, Leila Leah., From Eve to Esther: Rabbinic Reconstructions of Biblical Women, Westminster, John Knox Press, 1994.

Campbell, J., The Hero with a Thousand Faces, Princeton, Princeton University Press, 2004.

Dalley, Stephanie., Myths from Mesopotamia: Creation, the Flood, Gilgamesh, and Others, Oxford, Oxford World's Classics, , 2000.

Freud, S., Totem and Taboo, The Basic Writings, Modern Library, N.Y. 1938.

Freund, Philip., Myths of Creation, London, W. H. Allen, 1964.

Fromm, Erich., The Forgotten Language, New York, Holt, Rinnart and Winston,

1951.

Furlani, G., "Il mito di Adapa," Rendiconti della R. Accademia Nazionale dei Lincei, Classe di scienze, etc., 1929, vol. 6 (5), pp. 113-171.

Hartley, John E., New International Biblical Commentary, Massachusetts, Hendrickson Publishers, 2000.

Hays, Christopher B., Hidden Riches: A Sourcebook for the Comparative Study of the Hebrew Bible and the Ancient Near East, London, Westminster John Knox Press, 2014.

Heidel, A., The Babylonian Genesis, Chicago, 1951.

Heidel, A., The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, Chicago, The University of Chicago Press, 1949.

Kirk G. S., The Nature of Greek Myths, London, Pelican Book, 1977.

Kramer, Samuel N., From the Poetry of Sumer: Creation, Glorification, Adoration, Berkeley, University of California Press, 1979.

Kramer, Samuel N., Sumerian Mythology: A Study of Spiritual and Literary Achievement in the Third Millennium B.C., New York, Harper and Row, 1961.

Malinowski, Bronislaw. Magic, Science and Religion and Other Essays, New York, The Free Press, 1948.

Millstein, S. J., "The Origins of Adapa", Zeitschrift für Assyriologie, 2015, vo. 105 (1), pp. 30-41.

Mohammad, Jihan Izzat., "Adaba and the South Wind: A Myth from El-Amarna (14th century B.C.)", Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series, 2023, vol. 45 (2) pp. 147-162.

Pedersen, J., "Wisdom and Immortality," in Wisdom in Israel and in the Ancient Near East, M. Noth and D. Winton Thomas (ed), Leiden, Winton Thomas, 1955.

Pettinato, Giovanni., "Inanna." In Encyclopedia of Religion, Lindsay Jones (ed), New York, MacMillian Reference USA, 2005.

Pritchard, James B. (ed)., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, Princeton University Press, 1955.

Pritchard, James B., The Ancient Near East: An Anthology of Texts and Pictures, London, Oxford University Press, 1958.

Pritchard, James B., The Ancient Near East: Supplementary Texts and Pictures Relating to the Old Testament, Princeton, Princeton University Press, 1969.

Roux, G. "Adapa, le vent et 1'eau," RA, 1961, vol. 55, pp. 13-33.

Scurlock, Jo Ann., "Death and the Afterlife in Ancient Mesopotamian Thought." in Civilizations of the Ancient Near East, Jack M. Sasson (ed), Vol. III, New York, Macmillian Library, 1995, pp. 1883-1893.

Smith, G., The Chaldean Account of Genesis, Cambridge, Cambridge University Press, 2018.

Speiser, E. A., Akkadian Myths and Epics, in Ancient Near Eastern Texts, James Pritchard (ed), Princeton, New Jersey 1969, pp. 101-103.

Strong, S. A., Note on a Fragment of the Adapa Legend, Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, 1894, vol. 16, pp. 274-79.

Swidler, Leonard J., Women in Judaism: The Status of Women in Formative Judaism, Metuchen, N.J: Scarecro Press, 1976.

Talon, P. H., "Le mythe d'Adapa", Studi Epigrafici e Linguistici sul Vicino Oriente, 1990, vol. 7, pp. 43-57.

Tigay, Jeffrey H., The Evolution of the Gilgamesh Epic, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 1982.

White, Ellen G., Patriarchs and Prophets, Ellen G. White Estate, Inc, 2018.